جيمس بيري شاعر يقودك إلى ضوضاء الحقول ورائحة الطفولة

القصيـدة تنبثق من أكثر أعمـاق العقل سرية

عواد ناصر / لندن

تؤكد تجربة الشاعر الجامايكي جيمس بيري ثلاثة عناصر في تجربته الشعرية: الأول، هو ما يتصل بازدواجية الهوية والعاطفة، مثل الكثيرين من عاشوا تجربة الهجرة والابتعاد عن مسقط الرأس، خصوصاً ماضي الشاعر المثقل بالمرارة جراء العنف والتمييز العنصري، كونه شاعراً أسود.

أما الثاني، فهي أن بيري، مثل الكثيرين أيضاً، من شعراء العالم، الذين محضوا الطفولة اهتماماً خاصاً فكرس لها أغلب أعماله الشعرية، بخلاف شعرائنا العراقيين والعرب، الذين يستنكفون من الكتابة للأطفال لانشغالهم في "القضايا الوطنية والقومية الكبرى".

العنصر الثالث هو: تركيز الشاعر على الإنصات لأصوات وإيقاعات اللغة المحلية لأنها "طقس لغوي" عاش الشاعر في كنفه منذ طفولته كما يقول عند الحديث عن تجربته الشعرية.

ما يدعوه بيري"الإنصات إلى أصوات اللغة وإيقاعاتها" هو إشارة واضحة إلى التفريق بين "اللغة المحكية" أو "اللهجة الشعبية" وما صار عندنا، في العراق مثلاً، استغراق الشعراء في "شعبوية محكية" لا تستجيب إلى مستجدات الحياة شعرياً والاقتراب من مكابدات الإنسان في عصر معقد يتطلب شكلاً من "التحديث" التعبيري، لكي تقترب ما نسميها بـ "القصيدة الشعبية" من السوية الشعرية لتصبح "شعراً" وهذا هو الفرق بين الإنصات إلى إيقاعات اللغة المحلية والإغراق في الحوشي والمندرس وغير المفهوم، وهو ما اشتغل عليه مظفر النواب في قصيدته الشعبية، وطرح إحدى أفضل تجارب شعرنا المحلي في (الريل وحمد).

جيمس بيري (مواليد ١٩٢٤) في قرية جامايكية صغيرة محاطة بأشجار الفواكه، وقصائده مفعمة براهنية العالم الذي يعيشه، وله قصيدة بعنوان (عش مليئا بالنجوم) وتحتفل قصائده بما يسميه بـ "موسيقى كل يوم" في حياة القرية، أصوات الطيور وتقلبات الطقس حيث عواصف الريح والمطر، وضحك العائلة والأصدقاء، وفوق هذا كله تلك الأغاني والحكايات التي سمعها خلال حياته، وهذا جانب مهم في التقاليد الموسيقية التي تدخل عنصراً مهماً في الثقافة الجامايكية، ولهذا ليس بالأمر المفاجئ أن تحتل أصوات الكلمات موقعاً مركزياً في تجربته الشعرية.

المشكلة العنصرية احتلت، أيضاً، الكثير من لغته الشعرية والتي عانى منها كثيراً، خصوصاً عندما عاش في الولايات المتحدة وبريطانيا لسنوات عديدة، حيث عبر عن هذا بقوله: "يحق للمرء أن ينشأ ويتطور في أي مجتمع بغض النظر عن لونه". كما جاء في إحدى قصائده. طرح بيري على نفسه أسئلة الهوية المزدوجة، عدا معاناته جراء التفاعل بين ثقافتين: ثقافة (الويست إنديس) وثقافة الغرب (أمريكا وبريطانيا) لكنه حقق، رغم ذلك حضوراً شعرياً ونشر مجموعات شعرية عديدة وفاز بجوائز مرموقة، بعد سنوات من القهر العنصري وسوء المعاملة التي تعرض لها والده من قبل أصحاب العمل البيض. وكان للعاطفة الثنائية، كمهاجر ومقيم، أثرها في نصوصه الإبداعية، مثل كثيرين غيره عاشوا تجربة الهجرة والانتقال من مسقط الرأس إلى عالم جديد وغريب.

في كتبه الشعرية وقصصه للأطفال يركز بيري، في كليهما، على ما يدعوه بـ"بهجة العيش" وكما جاء في إحدى قصائده: "عندما أرقص أحتفل بالإيقاعات كلها".

حول بداياته يقول بيري: بدأت في قريتي الجامايكية. ولنشأتي في عائلة مسيحية تقليدية، أثارتني قصص الكتاب المقدس التي دفعتني للتفكير وطرح الأسئلة، بشأن الكون: الشمس والقمر والنجوم والماء وغير هذا. أي ما مثلته لي من ألغاز غامضة، إلى جانب تلك الحكايات الفولكلورية التي يتبادلها الجامايكيون، في بيوتهم ليلاً، وكل ذلك ساعدني في أن أكون شاعراً.

أما عن سر سعادته كونه شاعراً فيجيب: القصائد تنبثق من أكثر أعماق عقلك سرية. القصيدة تحاول أن تطرح عليك أكثر الأسئلة عمقاً. وأكثر أهمية من تلك التي ترويها لك قصة حياتك.

أما عن الوقت الذي تستغرقه القصيدة فيقول: "أوه، إنها تستغرق طويلاً. يمكن أن تظل القصيدة معلقة لأسابيع، أو أشهر، وقد تضعها جانباً عندما تدرك أنها لم تكن بالشكل الذي أردته، وليست كما توقعت أن تكون عليه، لكنك، فجأة، تكتشف، ذات يوم، أنها على غاية الروعة".

ويوضح "مكان" كتابة قصيدته بقوله: ثمة مكان في بيتي حيث أجلس، حيث الفكرة التي تراودني، ثم أبدأ بتدوين ملاحظات، بينما أتطلع إلى موضوعة القصيدة، وبعدها أحاول الاقتراب من جوهرها، حيث أطرح السؤال على ما أريد قوله لأحظى بجواب. كنت ربيت نفسي على استخدام الآلة الكاتبة وأستطيع التفكير، بسهولة، أثناء الكتابة بعد أن أكون دونت بعض الملاحظات في الدفتر".

أما عن تفضيله استخدام أصوات مفردات غير عادية في قصائده، فيضيف: أنها المفردات التي شكلتني منذ طفولتي، وهي (اللغة) التي تحيط بي أينما يممت. هذه (اللغة) تعبر عن تجربتي الشخصية، بما تحمله من خصوصية، وفردية، وعبرها أستطيع التعبير عن نفسي، وعن مجتمعي ومحيطي. وهي قريبة جداً من اللغة الإنكليزية واللغة الكاريبية، بل هي مزيج من الأفريقية الغربية والإنكليزية النموذجية.

من أعماله:

"لص في القرية" قصص للأطفال (عام ١٩٨٧).

"البنات والمارشال الشاب" أربع قصص للأطفال (عام ١٩٨٧).

"عندما أرقص" قصص للأطفال (عام ١٩٨٨).

تلويحة المدى

شاكر لعيبي

هل لامست "العمارة الكولونيالية" مدينة بغداد؟

(2-2)

منذ وقت مبكر، كان بإمكان بناية مقر الجيش العثماني، السراي في بغداد أن تجاري نمط العمارة الكولونيالية. إن الأعمدة الأسطوانية اليونانية -الرومانية المكررة ذات التيجان المزيّنة من أعلاها بطريقة قليلة الإثارة، ذات المستويين: أربعة منها عند المدخل الرئيسي، وهي الأكثر علواً من الأخريات في المستوى الثاني، تحاول الانسجام، بشكل ملفق مع الأقواس الإسلامية، خاصة وأن أسلوبها قليل الحضور في قوس العمارة العباسية - البغدادية. هنا محاولة للتلاؤم بين أسلوبين مع الإبقاء على "روح" معماري مربوط، بطريقة ما مع إرث العمارة الإسلامي. وهذا الأمر كانت قد حاولته العمارة العثمانية منذ وقت أبكر من ذلك في إسطنبول وغيرها من المدن، ليس فقط لأسباب جغرافية وبيئية، ولكن لأنها كانت تحاول التقرب من العمارة الأوربية السائدة، المعاصرة يومها، مع البقاء، بوعي مسبق، في تخوم عمارة تليق بإمبراطورية إسلامية تلم ميراث البلدان الواقعة تحت سيطرتها وتمثلها وتروّج لجوهر عماراتها. كانت العمارة العثمانية تقدّم في الهامش العراقي على استيحاء، وقبلها بجسارة في إسطنبول المركز، أمثلة مواظبة للأسلوب والوعي النظري والأيديولوجي الذي يحرّك في الحقيقة ما سيسمى بالعمارة الكولونيالية، قبل الاستعمار البريطاني للعراق. إن مثال المدرسة المأمونية بارز أيضاً في هذا السياق. العمارة الكولونيالية مرتبطة جوهرياً بالاستعمار. وتجد أهم أمثلتها في مدينة بغداد، منذ عشرينيات القرن العشرين. ولعل بناية المتحف العراقي عام ١٩٢٦ وكلية الطب مثالان بارزان هنا، أضف لهما مبنى القنصلية البريطانية الذي كان يقع في شارع النهر (لدينا بطاقة بريدية له مؤرخة بعام ١٩٠٩ قبل أن يهدم حسين ناظم باشا جزءا منه لغرض افتتاح الشارع عام ١٩١٠).

في الوعي العثماني الخجول لتحديث العمارة، عبر مزج العناصر الإسلامية بغيرها، ثمة هاجس أيديولوجي وسياسيّ، سنجده في كل ممارسة ثقافية أخرى، ويقع أصله في زعم الدولة العثمانية أنها تتابع أيضا هواجس عصرها وأنها لا تقلّ "حضارية" عن الإمبراطوريات الاستعمارية التي كانت تنافسها. كانت تزعم وتسعى كذلك إلى الإمساك بجوهر الحداثة المهيمنة، بالترافق مع ارتباطها الإيديولوجي المحتم بالثقافة الإسلامية التي كانت مرجعاً لها ولعناصرها المعمارية. من هنا يخرج أيضا هذا الأسلوب المعماري الهجين. والمفردة الأخيرة لا تريد بحال أن تكون حكم قيمة. علينا الإشارة في عمود سريع كهذا إلى دراستين، الأولى للمعماري العراقي إحسان فتحي الذي يقبل إدراج العمارة العثمانية المتأخرة في بغداد في إطار العمارة الكولونيالية، والثانية للفرنسية سيسيليا بيري في سياق آخر.

لا يقع التركيز في الكتابات المعمارية العراقية على أمرين اثنين: أولا: حضور هذه العمارة الأكيد، وبالتالي تناسيها في الثقافة العامة والمتوسطة السائدة، لصالح عمارة تراثية بغدادية أصلية مروّج لها من جهة، أو لصالح حركة معمارية عراقية معاصرة من جهة أخرى. وكلاهما يحتاجان إلى بعض التدقيق. ثانياً: سيادة نقد خجول للعمارة العراقية المعاصرة لجهة مرجعياتها التي تضبب أصالة بعضها من عدمه، وقلة الإشارات إلى غياب الوعي الجمالي الصافي في الكثير منها مقابل الوظيفية الصارخة فيها. وكلا الأمرين يجعل الحديث عن العمارة العراقية التراثية أو المعاصرة حديثاً أيديولوجياً بالأحرى في حصة كبيرة منه، أي مديح عريض للذات الثقافية الوطنية.

مثقفون مصريون يخشون على مستقبل الحريات بعد الثورة

أبدى مثقفون مصريون في مؤتمر عن قضايا الحريات بالقاهرة خوفهم مما يرونه تهديدا لحرية الإبداع في ظل صعود تيارات إسلامية، حيث حصل الإسلاميون على الأغلبية في الانتخابات البرلمانية، الشتاء الماضي، كما فاز محمد مرسي المنتمي لجماعة الإخوان المسلمين برئاسة الجمهورية الشهر الماضي.

وقال سعيد توفيق الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة التابع لوزارة الثقافة في افتتاح مؤتمر (حقوق وحريات الفكر والإبداع.. تحديات الثورة والمستقبل) بدار الأوبرا بالقاهرة: إن العالم الديمقراطي "فرغ من مناقشة قضية الحرية... ولكننا (في مصر) نشعر بأننا خارج سياق حركة التاريخ الإنساني".

ووصف الفترة التي تمر بها مصر حاليا بأنها فترة ارتداد قائلا: "إننا نمر بأسوأ فترة يمكن أن تمر بها الثورات" بعد الاحتجاجات الشعبية الحاشدة التي اندلعت في عموم مصر يوم ٢٥ يناير/ كانون الثاني ٢٠١١، وأدت بعد ١٨ يوما إلى خلع الرئيس السابق حسني مبارك.

وقال توفيق إن "الثورة التي قامت من أجل الحرية تريد الآن أن تدافع عن حريتها".

والمؤتمر الذي دعت إليه وتنظمه (اللجنة الوطنية للدفاع عن حقوق وحريات الفكر والإبداع) يستمر يومين بمشاركة كتاب منهم الروائية سلوى بكر وأستاذا الفلسفة حسن حنفي وحسن طلب، ومن الحقوقيين أحمد سيف الإسلام وعصام الإسلامبولي والفنان التشكيلي عز الدين نجيب ومخرجو السينما مجدي أحمد علي ومحمد كامل القليوبي وسيد سعيد.

وقال الشاعر سيد حجاب المنسق العام للجنة المنظمة للمؤتمر - وهي هيئة أهلية مستقلة - إن قضية المصريين حاليا هي "معركة الدستور... هناك أصوات ضالة ومضللة ونحن في طريق كتابة دستور" بعد الحكم ببطلان الجمعية التأسيسية الأولى لكتابة الدستور وتشكل جمعية ثانية يراها البعض غير ممثلة أيضا لتنوع الشعب المصري.

وأضاف أن "أصوات الجلافة والبداوة التي تسعى للتضييق على الحريات" لا تعي طبيعة الشعب المصري الذي قال إنه توصل إلى التوحيد كما اخترع الرقابة على الفكر أو الإبداع سواء كان تحت ستار الدين أو بسياط الدولة المختلفة" وضرورة تمثيل المثقفين في الجمعية التأسيسية المكلفة بكتابة الدستور الذي وصفه بمعركة مصر حاليا "وهي معركة إذا هزمت فيها مصر ستكون أخطر كثيرا من أية هزيمة عسكرية لحقت بها".

واستعرض وقائع اعتبرها جرس إنذار منها "التعدي" على أنشطة فنية وإبداعية في بعض الجامعات مثل جامعة عين شمس ورفع قضايا على فنانين منهم الممثل عادل إمام ومخرجون ومؤلفون لبعض أعماله بتهمة ازدراء الإسلام في بعض الأفلام والمسرحيات.

الشاعر هادي الربيعي يقرأ (أعالي الخلود) في قصر الثقافة بكربلاء

كربلاء / أمجد علي

ليس هناك شيء يقال بالنسبة إلا من خلال العمل الأدبي الذي أبحرت فيه وفي كل أنواعه حتى إني لم أترك نوعا أدبيا لم أخض غماره وهذا ما لا انصح به الأدباء لان التشعب قد يقود إلى التأخر في الوصول إلى المراد...

بهذه الكلمات بدأ الشاعر والقاص والروائي والصحفي والإذاعي هادي الربيعي أمسيته التي أقامها له قصر الثقافة والفنون في كربلاء بمناسبة صدور مجموعته الشعرية (أعالي الخلود) والتي بدأها القاص والناقد جاسم عاصي مقدما الشاعر بكلمات ارتبطت بعلاقة زادت على الأربعين عاما حتى لكأن الكلمات لم تكف لهذه العلاقة كما يقول عاصي الذي أضاف أن الكثيرين ممن كتبوا عن هادي حاول كل منهم أن يعطيه وصفا تارة أو أيديولوجية تارة أخرى فهو ما بين الشيوعي والإسلامي والمستقل، إلا انه شاعر كوني ينتمي إلى كل ما له صلة بالناس رغم أن الانتماء ليس عيبا فهو لا فرق لديه بين أن يتصل بالله وبين أن يتصل بالقضية، لان الله موجود في كل مكان إذا ما أردنا أن نكون حيث يريد.. ويضيف عاصي مقدما وباحثا في تجربة الربيعي: إن قصائده محاولة لمنح الموسيقى روحا فهو حتى في مناجاته إلى الله في قصائد مجموعته الأخيرة يريد أن يقدم اقتدارا أبعده عن الرثاء رغم أن الرثاء واضح ليس للكون بل للإنسان المعذب.

وقال الربيعي: كتاباتي متنوعة خضت في جميع الحقول وأخذت إلى كل بيدر ما أريد زراعته حتى أني لم أترك مجالا لم أخض فيه كتابة فقد بدأت بكتابة المسرح والشعر والرواية والقصة وكنت صحفيا وإذاعيا وما زلت بل ومصور فوتوغرافي ومعلم فيه، ولكني لا انصح الآخرين بان تتعدد مواهبهم لان ذلك قد يبعدهم عن لحظة الوصول التي يبغونها ويكون هناك تشتت غير مبرر..

ويؤكد "الآن اجمع شظاياي لأقدم نصا يصطدم القارئ ويتفاعل معه" ، مذكرا برمزه الشعري (نورندا) الذي تكرر في العديد من القصائد والمجموعات الشعرية العديدة، وقال: إن لكل مبدع بصمة فالكثير من الكتاب المبدعين لديهم بصمة، فكانت نورندا هي بصمتي وهي حقيقة الوهم ووهم الحقيقة، وبإمكان القارئ أن يصل إلى ما يريد من تأويل هذه البصمة التي تركتها في قصائدي.

وشهدت الأمسية العديد من المداخلات التي بدأها الدكتور عبود جودي الحلي قائلا: إن الربيعي كان معلما للكثير من الشعراء في كربلاء وكان بصمته وهدوئه يصنع الشعر لذلك فإن في كل كتاباته نرى البعد الإنساني إذا ما أردنا أن نحلل القصائد إلى إبعادها الفكرية.. وأضاف انه يريد أن يحقق ذاته عبر الآخرين ..

في حين قال الشارع نوفل الصافي: انه شاعر كبير وربما شاعر كبير مغبون نقديا كونه يبتعد عن مصادر اللقاء بالنقاد ولكونه مهموما بهمومه وهموم مجتمعه.. وأضاف انه يرى في الآخرين من البسطاء صورته والذي يعمل معه وخاصة في مجال الإذاعة فانه لن يرى غير مبدع كبير إلا انه لم يحصل على استحقاقه الكامل.

فيما قال الروائي علي لفتة سعيد: إن الربيعي ربما يعد من الشعراء الذين يمتلكون موسيقى داخلية في كل قصائده سواء منها العمود وهو أمر طبيعي والتفعيلة والنثر فلا مجال غير أن نبصم أن هذه بصمة هادي الربيعي، إلا أن سعيد عد اتجاه القصائد التي يكتبها في الفترة الأخيرة لا تقترب من هموم الناس بل اتجهت إلى مناجاة ذاتية وكأنه يريد أن يخلق من واقعه واقعا صوفيا أو أن للعمر مهمة أخرى وهي صنع النهاية فكان يرثي حاله مقتربا من موعد اللقاء مع الله..